

اليسوعيون ومجلة «المشرق» تاريخ وأعلام (١٨٩٨ - ١٩٧٠)

الأب كميل حشيمه اليسوعي

١ - الإرهاصات

كتب الأب لويس شيخو في مقال نشرته مجلة المشرق في مطلع كانون الأول سنة ١٩٢٧ ويعنوان «عمل المشرق في ربيع قرن»، ما حرفه:

«كان أول ما فكّرت الرسالة اليسوعية في إنشاء مجلة عربية تضاف إلى جريدة البشير، في أواخر السنة ١٨٩٦، فقدّنا طلباً رسمياً إلى المراجع العليا في الأستاتة عن يد والي بيروت نصوح بك الذي تَلَطَّف وأبَد طلبنا لدى دائرة المعارف في العاصمة.

«إلا أنّ هذا الطلب بقي مدّة دون جواب. ولا عجب إذ كانت الدولة وقتئذ في عزّ استبدادها، والسلطان عبد الحميد يأنف من تعزيز الجرائد والمجلات، لا سيما أن كانت في إدارة من يتمتع ببعض الإنعامات والمعافيات الدولية.

«على أنّنا لم نقطع الرجاء من الشماس الرخصة المطلوبة، فعدنا إلى مراجعة ذوي الحلّ والربط، وساعدنا في ذلك بعض الأصدقاء من أدباء الأستاتة من ذوي النفوذ (. . .) وكان أحد قدماء تلامذة كليتنا المرحوم شكري باحوط ساعياً في الأمر لدى بعض وجوه الدولة (. . .).

وفات هذه المساعي أخيراً بتبجتها المرغوبة في أواسط السنة ١٨٩٧ إذ أرسلت لنا المعارف رقيماً رسمياً تمنح فيه الرخصة بنشر مجلة علمية أدبية فنية تحت اسم ومثولية كاتب هذه الأسطر^(١).

لدى قراءة هذا البيان المقتضب تتضح لنا عدّة أمور، من أهمها تاريخ بدء الإعداد لإصدار المشرق، وتعيين مديرها، والخطة المرسومة للمجلة بحيث تكون علمية أدبية فنية.

إلا أنه لا بد هنا من تصحيح غلط وقع فيه شيخو سهواً لدى تعديده بداية معاملات الرخصة. فباته كتب في الخامس من حزيران ١٨٩٦ إلى صديقه العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي ما تعريه: «لم تتلّ اليوم الإذن بإصدار مجلّتنا المشرق، وقيل لنا منذ شهرين إنه لم يتبقّ إلا بعض الإجراءات والمعاملات»^(٢). فيبدو من هذا الكلام أنّ تفكير اليسوعيين في إصدار المشرق لم يكن في أواخر ١٨٩٦، بل قبل ذلك بأكثر من ثمانية أشهر. لا بل إنهم باشروا في السعي إلى نيل رخصة المجلة عدّة سنوات قبل ذلك التاريخ، على ما جاء في رسالة وجّهها يوم ٢١ حزيران ١٨٩٧ رئيس رهبانيتهم آنذاك في بلاد الشام، الأب ييار رُوئُر، قال فيها ما تعريه: «بعد أربع سنوات من الإلحاح لدى السلطان، حصلنا منذ وقت يسير على الإذن بإصدار مجلة يكون هدفها الأساسي الدفاع عن الكنيسة المقدّسة»^(٣).

تبلورت إذن فكرة إنشاء المشرق حوالي سنة ١٨٩٢، إن لم يكن قبل ذلك التاريخ.

(١) المشرق ٢٥ (١٩٢٧)، ص ٩٢٦. - زدنا التفاصيل على نصّ شيخو.

(٢) «L'autorisation pour notre revue de l'Orient n'est pas encore accordée. Il y a deux mois on nous a dit qu'il n'y avait plus que quelques formalités à remplir»
(Archives des Jésuites, Beyrouth, Dossiers Cheikho).

(٣) «Après quatre ans d'insistance auprès du Sultan, nous venons d'obtenir l'autorisation de publier une revue dont le but essentiel sera de défendre la Sainte Eglise.»
Sébastien Ronzevalle. *L'Imprimerie Catholique de Beyrouth et son œuvre en Orient*, Beyrouth, 1903, p. 116

٢ - البدايات : شيخو (١٨٩٨ - ١٩٢٧)

أما تحقيق المشروع، فقد أوكل إلى الأب لويس شيخو. وكان هذا الراهب إذ ذاك دون الأربعين من عمره - إذ وُلد عام ١٨٥٧ -، وله من الشهرة في عالم اللغة العربية وآدابها قسطٌ وافر. فقد سبق وأصدر في ميدان الكتب الأدبية نحو خمسة عشر مصنفًا، بدءًا بسلسلة «مجانى الأدب في حدائق العرب» التي شرع في طبعها عام ١٨٨٢ ببيروت وبمجموع مجلداتها تسعة بين نصوص وشروح. ومن مؤلفاته الأدبية، على سبيل المثال لا الحصر: الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية (بيروت، ١٨٨٧)، أنيس الجلساء في ديوان الحنساء (بيروت، ١٨٨٨)، شعراء النصرانية قبل الإسلام، في ستة أجزاء جمعت ٩٣٢ صفحة (بيروت، ١٩٩٠). كما أصدر في باب اللغة مجموعة من الكتب النفيسة كمثل كتاب فقه اللغة للثعالبي وقد حققه ونشره في بيروت عام ١٨٨٥، وكتاب نزهة الطرف في مختصر الصرف (بيروت، ١٨٨٥)، وكتاب علم الأدب في أربعة أجزاء (بيروت، ١٨٨٦ - ١٨٨٧)، وسواها كثير. هذا فضلًا عن إصداره كتبًا أخرى دينية ومقالات وأبحاث أدبية وتاريخية نشرها في مجلات اليسوعيين بأوروبا.

شمر الأب شيخو عن ساعديه وأجرى الاتصالات بالكتاب في بيروت، محل إقامته، وخارجها، وسرعان ما ظهرت المجلة، بعددها الأول، في مطلع سنة ١٨٩٨. وتصدّرتها مقدّمة دَبجها مديرها وصاحب امتيازها بأسلوب متنق، فيه من الجزالة والنخامة وبعض المقاطع المسجّعة ما يلبق بخطرورة المناسبة. وأوجز شيخو بمقتضب العبارة أهداف الصحيفة وشعارها والغاية من اسمها.

أما أهداف المنشود، فهو وضع المقالات التي رأيناها أنسب لفائدة العموم وأوقع لديهم مع تهيئة عدّة فقرات ونُذْ جلمعة لشذور آداب الدنيا والدين ومصنّفات تاريخية وفنية ولغوية وطبيعية وغير ذلك من المعارف لم نستن منها سوى السياسة ومتعلقاتها. ولئن وسع أصحاب المشرق نطاق مجلّتهم إلى هذا الحدّ، فلأنهم أرادوا في الواقع أن يظاهروا، لا بل يفوقوا، سائر المجلات التي

كثرت في تلك الأيام ولم تنهج النهج الذي كانوا هم يتتفون لا سبياً في الأمور التي تمت إلى الدين وإلى علاقاته بالعلم وشؤون العصر.

وأما الشعار المرسوم، فبيّنه شيخو بما يلي: «قد أخذنا لنا شعاراً قوله تعالى في رسالة يوحنا الأولى (ف ١ : ٥):

«إن الله نور. وليس فيه ظلمة البتة» إشارة إلى أنه عز وجل هو مصدر العلوم والمعارف وأن كل علم لا يستمد منه ولا يعود إليه إنما هو ضلال بحث».

وعن تسمية المجلة بالشرق فقد جاء في المقدمة: «إن اسم مجلتنا الجديدة ينطق بنفسه عن غايتنا ويقوم مقام لائحة مطوّلة، إذ آثرنا باختياره أن نبيّن لأهل الوطن أنّ جلّ مرغوبنا التحرّي لكلّ الأبحاث المتعلقة بالشرق والطوائف الشرقية ونفضلها على سواها لثلاثيّن إن الغريب أدري بما في البيت من أهله، لا سبياً ولا نزال نرى كثيرين من الأجانب يعكفون على تتبع أخبار بلادنا واستيطان أحوالها».

وقد أضاف شيخو إلى هذه الإيضاحات رغبته في رفق المجلة بما يأتي به الغربيون من شريف الأعمال وبتكرونه من الاختراعات والاكتشافات في سائر الفنون ليكون أهل الشرق على بيّنة من أمورهم وتتوفّر عندهم على مشالم أسباب العمران والتقدّم.

هذه الأهداف التي وضعها شيخو نصب عينيه، لم يعد عنها طوال الأعوام الخمسة والعشرين التي أشرف فيها على حياة الشرق، من بدء سنة ١٨٩٨ حتّى آخر عام ١٩٢٧ - مع انقطاع خمس سنوات بسبب الحرب العالمية الأولى - فقد سعى جهده لخدمة الشرق ورفع مسواه ديناً وعلماً وأدباً، يدافع عن الدين والحقّ دون هوادة، ويقدم للعامة والخاصة، بقلمه وأقلام سواه، أجود المقالات في سائر المجالات.

ومما لا شكّ فيه أنّ مشروع شيخو قبض له النجاح إلى أبعد الحدود، ومنذ بداية الطريق. فما إن صدرت أعداد المجلة الأوائل حتّى هلّل لها المثقفون، والأدباء الشرقيون والمستشرقون، وكبّ العلامة المستعرب الإيطالي كارلو ألفونسو نلينو إلى شيخو بيّنه قال: «إني أتبع ببالغ الارتياح أطراد تقدّم

مشرقكم، وهي منذ اليوم أحد أقوى مراكز الثقافة في الشرق العربي»^(١).

وسرعان ما تهاقت المشتركون على المجلة حتى بات عددهم، سنة ١٩٥٣، أي بعد ستة أعوام من انطلاقتها، يناهز الخمسة. كما أنّ عدد المجلات التي كانت تحصل عليها للمبادلة، زاد على الأربعة والثلاثين في أوروبا وأميركا، فضلاً عن مجلات البلاد الشرقية^(٢).

تُرى ما كان السبب لنجاح المشرق على هذا النحو البارز؟ هو في نظرنا متعلد الوجوه. أولها توسيع اهتمامات المجلة إلى الكثير من المواضيع. فقد تطرقت، كما يتنا سالفًا، إلى جميع ما يهم المثقفين في تلك الأيام وعرفت أن تكون أداة تساهم في إرساء أسس النهضة الفكرية والأدبية في الشرق^(٣).

ثم إنّ المجلة أحسنت التوفيق بين الرصانة العلمية والتبسيط المعمم فراعته الباحثين العلماء وقدمت للمثقفين العاديين ما يشدونه من معلومات أولية أو عامة.

وهناك أيضًا استمرار شيخو ثلاثين سنة دون انقطاع على رأس المؤسسة، يثبتها بشاته ويدعمها بما ناله من خبرة متزايدة، وعلم متعلد الوجوه والانتجاعات، وقدرة عجيبة على التأليف والتحقيق والبحث والتنقيب، محبًا ماث الصفحات كلّ سنة حتى كادت المشرق أن تكون بمعظمها من إنتاج هذا العلامة الفريد.

إلا أنه لا ينبغي تجاهل من ساهم إلى جانب شيخو في تحزيز المجلة. فقد عرف المدير أن يستعين بذوي الكفاية ولم يُعَدِّم، في أي من الأعداد، مقالات لكبار المؤلفين، بعضهم الكثير من إخوانه السوريين، وسوف نتوقف عندهم في مقطع لاحق.

(١) «Je suis avec le plus grand plaisir le progrès continuuel de votre *Mechriq*, qui est désormais un des centres les plus puissants de culture dans l'Orient arabe».

كميل حنيم، من رسائل الأدباء والمثقفين إلى الأب لويس شيخو، في المشرق ٦٤ (١٩٧٠)، ص ٤٣١ - ٤٣٢.

(٢) Seb. Ronzevalle, *op. cit.*, p. 133-134.

(٣) أطلب: جورج فايز سلوم، للتواحي الفكرية لمجلة «المشرق» أيام الأب لويس شيخو، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، جامعة القديس يوسف، بيروت، ١٩٨٠.

٣ - المرحلة الثانية (١٩٢٨ - ١٩٥٠)

توفي لويس شيخو في ٧ كانون الأول سنة ١٩٢٧ بعد أن أنهى تحرير العدد الأخير من سنة المشرق الخامسة والعشرين، وانطوت برحيله مرحلة مميّزة من مسيرة مجلّته. ولئن غاب وجهه عن العيان فقد ظلّت ذكراه وروحه حاضرتين في طيّات الصحيفة مستقبلاً على مرّ السنين.

خلف المؤسّس بين ١٩٢٨ و١٩٥٠، أي في الربع القرن الثاني من حياة المشرق أربعة مديريين يسوعيين تعاقبوا جيئاً وتناوبوا جيئاً آخر. وأوّل من تسلّم المشعل من شيخو كان المستشرق الأب هنري لامنس، أشرف على إدارة المجلّة من ١٩٢٨ حتّى غاية ١٩٣٣. وتناوب بعده الآباء رينه موترد René Mouterde، عالم الآثار اليونانية واللاتينية، وروبير شدياق، وپول كورون Paul Coron مدير المطبعة الكاثوليكية. وقد أتيح لكلّ من الأوّلين أن يتبوأ الإدارة على دفعتين، في حين أوكلت المسؤولية إلى الراهب الثالث في أواخر زمن الحرب الكويتية الثانية، إذ صدر من المجلّة أربعة أعداد خاصة لم تُدخل في الحساب المتسلل لبني الصحيفة. وكان هؤلاء المديرون، لاسيّاً الأجانب منهم، يستعينون بعددٍ من إختيارهم الرهبان أو معاونيهم العلمائين المثقّفين، أبرزهم الأديب العلامة وتلميذ شيخو وصديقه الأستاذ فؤاد أفرام البستاني^(١).

ومما تميّزت به المشرق في المرحلة الجديدة أنّها قلّلت من المقالات الجدليّة على نحو ملحوظ حتّى كاد أنّها يزول. ولا غرو، فالأيام تبدّلت ومعها الذهنيّات، إذ هبّت روح الانفتاح بعد الحرب الكويتية الأولى فتأثّرت به الطوائف الدينيّة والمدارس الفكرية والسياسية. وتلاشت أيضاً، أو كادت، مقالات التبسيط في المجالات العلميّة لعدم مسّ الحاجة إليها بعد ذلك، فالمدارس كثّرت، والعلوم الأساسية انتشرت، والمجلّات المتخصصة وقرت للقراء ما كانت مثيلات المشرق تقدّمه لهم. وعلى العكس ازدادت المقالات التي تعالج الشؤون الأدبية والتاريخية والإسلامية، فأخذت المجلّة تسلك سبيل التخصص. ولو حظ ارتفاع عدد العلمائين المساهمين في كتابة المقالات.

(١) ظلّ فؤاد البستاني أمين التحرير طوال المرحلة الثانية التي نحن في صلبها. وعلون للمدير في مدّة الحرب الحوري لويس خليل الماروني.

٤ - المرحلة الثالثة (١٩٥١ - ١٩٧٠)

عُيِّن الأب إغناطيوس عبده خليفه مديراً للمجلة عام ١٩٥١ وظل في منصبه طوال عشرين سنة، وعلى وجه التحديد طوال تسع عشرة سنة وبعض السنة، حتى انتخابه مطراناً نائباً للبطريرك الماروني عشية عيد الفصح من عام ١٩٧٠، فخلفه إذ ذاك الأب كميل حُثَيْم الذي استمر في العمل حتى توفيت المجلة عن الصدور لأسباب قاهرة.

ومما اتصفت به المشرق في تلك المرحلة من حياتها أنها تابعت نشر المقالات التي تهتم العلماء، فدرست التاريخ الغابر وحققت الكثير من المخطوطات القديمة ولكنها تمدت ذلك المجال وأولت عنايتها هموم الساعة وشؤون اليوم. وأفسحت في المجال أمام كتبة ألفتوا مقالاتهم باللغة الفرنسية فنشرت لهم بالأصل دون ترجمة.

٥ - اليسوعيون الذين كتبوا في «المشرق»

ساهم الرهبان اليسوعيون في وفد «المشرق» بثبات المقالات، ولم يتركوا موضوعاً مما يهم القراء إلا عاجلوه، سواء في الدينيات أو الأدبيات، في الفلسفة أو التاريخ أو الفقه، في الاجتماع أو اللغة أو الآثار أو العلوم الرياضية والطبيعية على أنواعها. وقد أحصينا أسماء سائة وخمسة عشر منهم، بين شرقيين ومشرقيين، فضلاً عن الغربيين الذين نقلت مقالاتهم إلى العربية أو أدرجت في لغتها الأصلية. وسوف نعرف في ما يلي بالشرقيين ونحو نصف المشرقيين، ملئين بعدد قليل من الفئة الثالثة.

آ - الكتبة الشرقيون

ذكرنا الأشخاص بحسب الترتيب الأبجدي لشيرتهم (أسماء عائلاتهم):

أبيلا (شارل) (١٨٧٦ - ١٩٤٦)

إسمه قبل الترقب «عزیز». وُلد في صيدا من أسرة مالطية الأصل، بريطانية الجنسية. تولّى إدارة الدروس العربية في ثانوية رهبانيته ببيروت، وتبوأ

مناصب أخرى في عدد من أديرة اليسوعيين في لبنان ومصر وسورية. دَرس اللاهوت الأدبي في جامعة القديس يوسف، وأدار جريدة البشير ردحا من الزمن، وله فيها الكثير من المقالات، أغفل توقيع أغلبها. كما له في المشرق مقالات عديدة مستفيضة معظمها في الجدل وعلم اللاهوت، فضلاً عن تمثيلية بعنوان ابن وائل صدرت تباعاً في أعداد سنة المجلة الخامسة (١٩٠١) ثم نُشرت على حدة^(١).

إدّه (خليل) (١٨٧٠ - ١٩٤٢)

وُلد في دمشق من أسرة لبنانية أدت للبلاد خدمات جليلة. كان أبوه «الترجمان الأول» في القنصلية الفرنسية، وأخوه إميل رئيساً للجمهورية اللبنانية. من المراكز الهامة التي شغلها إدارة الدروس العربية في ثانوية اليسوعيين ببيروت (١٩٠٤ - ١٩٠٦ و ١٩٠٧ - ١٩٠٩) والقاهرة (١٩٠٩ - ١٩٢٢). برع في التدريس والكتابة حتى قال فيه تلميذه الأديب الكبير أنطون باشا الجميل إنه صاحب الفضل في تنشئه على حبّ الدقة العلمية والإنفاق في الإنشاء الأدبي. من مؤلفاته: الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض، بيروت، ١٩٣٥، والمسيحية والإسلام في جزئيين، بيروت ١٩٣٩ و ١٩٤٢، وإنجيل الأحداث، وتمثيلية السمّوال، والقواعد الجلية في علم العربية ألّفه مع نسيه الأب جبرائيل إدّه اليسوعي. وحزّر لمجلة المشرق مقالات عديدة تنوعت مواضعها بين لغوية وأدبية واجتماعية وروحية.

إلياس (بولس) (١٩١٣ - ١٩٧٢)

من مواليد البساتين قرب بانياس على الساحل السوري. كان اسمه قبل الترحب شوكت. واعظ بليغ وكاتب خصب خلف عدّة مؤلفات دينية: يسوع المسيح: شخصيته وتماليمه، المدعوون في الكتاب المقدس، أيام ابن الإنسان،

(١) من المصادر التي استمدناها في تحرير هذه النينة والبنذ التالية كتابي الأب شيخو: الأديب العربية في القرن التاسع عشر، بيروت، ١٩٢٤ والأديب العربية في الربع الأول من القرن العشرين، بيروت، ١٩٢٦، ودائرة المعارف لنؤلد انرام البتازن في ١٤ مجلّداً، بيروت، ١٩٥٦ وما يليها، ومجّة المشرق. ومن المرجع الفرنسية نذكر خاصة كتاب:

Henri Jalabert, *Jésuites au Proche-Orient, Notices biographiques*, Beyrouth, 1937

خلاصة الدين المسيحي، على خطى المسيح، ما هي المسيحية، أسرار مسيحية
الوردية (كراس). ونشر مقالات في بعض المجلات إلا أنه لم يفتش المشرق إلا
بواحدة عن «روحانية الفرض الإلهي» ظهرت سنة ١٩٦٥.

أنطونيوس (جورج) (١٩٤٢)

كتب مقالة- إذ كان طالباً في الرهبانية، فعالج موضوع «كتاب عبد الله
وأزمة الإنسان المعاصر» لأنطون غطاس كرم.

توتيل (فردينان) (١٨٨٧ - ١٩٧٧)

أبصر النور في حلب. عُرف بنشاطه الدؤوب لخدمة الفقراء والمظلومين
واليتامى والسجونيين. وكان إلى ذلك يصرف الساعات الطوال في الأبحاث،
التاريخية منها خاصة، فأصدر تاريخ سورية ولبنان وفلسطين المصوّر، والتذكّار
المثوي لأخوية الأمّ الحزينة: بيروت، وثائق تاريخية عن بيروت، والمنجد في
الأدب والعلوم، وأبجدية الأميّ (للسجناء)، ووثائق تاريخية عن حلب في ستة
مجلّدات (بدأ ونشرها تباعاً في المشرق). كما أنه حقّق ونشر في المشرق أيضاً
تاريخ الأزمنة للدويهي، وواظب على رفد تلك المجلّة وسواها بعشرات
المقالات منذ ١٩٢٠ حتى ١٩٦٨ وقد جاوز الثمانين.

جباره (إلياس) (١٨٧٢ - ١٩٥٥)

وُلد في دمشق من أسرة استقرت في زحلة بلبنان. أمضى معظم حياته
الرهبانية في مصر يخدم فيها الفقراء وصغار الكنيّة إلى جانب نشاطاته التربوية
كتوليّه إدارة الدروس العربية في ثانوية رهبانيته بالإسكندرية (١٩٠٨ -
١٩١٩). نشر كتاب صلوات ورياضات وأناشيد بعنوان كنز العابد (١٩٣٠)،
وحزّر في المشرق عدداً من المقالات أهمّها واحدة في «ازدهار الديانة الكاثوليكية
في إنكلترا».

حشيمه (كميل) (١٩٣٣)

لبناني، من بلدة بكفيا. شغل مناصب إدارية وتربوية في لبنان وسورية،
ودرس الترجمة في جامعة حلب ثماني سنوات وهو الآن مدير دار المشرق للنشر.

أصدر عدّة كتب، بعضها موضوع وبعضها منقول، منها: لويس شيخو وكتابه «النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية» (دراسة نقدية، بالفرنسية)، والأب لويس شيخو: ما كتبه وما كتبت عنه، واليسوعيون والآداب العربية في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن العشرين (كتيب)، وعلماء النصرانية في الإسلام ووزراء النصرانية وكتابها في الإسلام، وقد جمعها مما خلفه شيخو بين أوراقه، فحقّقها وزاد عليها. وله أيضًا كتب أخرى أدبية ولفوية ودينية، فضلاً عن مقالات في بعض المجالات، منها المشرق لما تسلّم إدارتها خلفاً للمطران عبده خليفه في ربيع سنة ١٩٧٠.

خليفه (إغناطيوس عبده) (١٩١٤)

وُلد في بلدة وادي شحرور على مافة قرية من العاصمة اللبنانية. أمضى ما يربو على العشرين سنة يدرّس العقيدة في كليّة اللاهوت - جامعة القديس يوسف، بيروت - وقد شغل فيها مدة من الزمن منصب العبادة. أدار المشرق من ١٩٥١ حتى سيامته مطراناً في الخامس من نيسان ١٩٧٠، وقد دَبّج على صفحات المجلّة عشرات المقالات الفكرية والأدبية واللاهوتية والاجتماعية، ونشر الكثير من المخطوطات وعرّف بمئات الكتب. وطبّع على حدة أهم ما نشره في المشرق أو في سواها من المجلّات، كالتقسيم الثاني من فهرس مخطوطات المكتبة الشرقية، مكتملاً بذلك ما بدأ به شيخو، وشفاء السائل لتهديب المسائل لابن خلدون. ونقل إلى العربية كتباً هامة مثل الوثائق المجمعية التي صدرت عن المجمع الفاتيكاني الثاني، ونشيد الكون لتيارده شاردن، ومعجم اللاهوت الكاثوليكي للعلامة اليسوعي كارل راهتر. وظلّ، بعد تولّيه مهام الأسقفية يؤلّف وينشر^(١).

خليل (يوسف) (١٨٦٨ - ١٩٥٥)

ابن كاهن مارونيّ من ميروبا في قضاء كسروان بلبنان. عُرف بحكمته وحسن إدارته فأمضى ما يربو على الثلاثين سنة في رئاسة بعض أديرة رهبانيته. ألّف كتيباً بعنوان نبذة وجيزة مصوّرة في سيرة القديس فرنسيس الأسيزي

(١) اطلب للزيد في مقالنا: اسقف مارونّ جديد، المشرق ٦٤ (١٩٧٠)، ص ٢٥٧ - ٢٦٢.

(١٩٢٨)، وكتب لمجلة المشرق، بين ١٩٠٤ و١٩١٤، ثلثي مقالات، بعضها تاريخي وبعضها تقوي وبعضها الآخر فكري.

رباط (أنطون) (١٨٦٧ - ١٩١٣)

أبصر النور في حلب. عُرف بدمائه أخلاقه وسعة معارفه. كاد أن يُسَخَّب مطرأاً سنة ١٩١٠ ويعيّن مديراً لبطريركية السريان الكاثوليك، ولكنه استطاع أن يُبعد عنه ذلك الشرف.

تولّى إدارة جريدة البشير مدّة من الزمن وإدارة الدروس العربيّة في ثانوية اليسوعيين ببيروت بين ١٩٠٣ و١٩٠٧. شغف بتاريخ الكنائس الشرقيّة فجمع مئات الوثائق في ذلك الشأن وطبعها تحت عنوان: وثائق غير منشورة للإسهام في كتابة تاريخ المسيحية بالشرق^(١). وكتب لمجلة المشرق بضع عشرة مقالة، بعضها تاريخي وبعضها الآخر ديني أو أدبي، وقد نشر منها بعد ذلك على حدة: الإنجيل الشريف (١٩١٢)، وعقيدة انبثاق الروح القدس من الأب والابن (١٩٢٧)، وتمثيلية الرشيد والبرامكة (١٩١١) وغيرها يطول ذكرها.

سَلُحْتُ (فيكتور) (١٩٢٥)

سليل أسرة حليّة أعطت الكنيسة والعلم عدداً من مشاهير الرجال، كالبطريرك السرياني إغناطيوس جرجس (١٨١٨ - ١٨٩١)، والخور أسقف العلامة جرجس (١٨٦٨ - ١٩٢٨) مؤسس مجلة الورقاء الجليلية، والمطران إقليمي جرجس (١٩٢٠ -) صاحب المؤلفات الكثيرة، ويوسف شكرالله منسج مجلة الضاد في حلب سنة ١٩٣١، وسواهم من الأدباء. تبنّى في الرهبانية مناصب إدارية وتربوية، وكتب في مواضيع التربية الدينيّة والفلسفة والأدب. ومن مؤلفاته النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ، والإنسان في ضوء المسيح، وقد حَقَّق ونشر القطاوس المنتيم لأبي حامد الغزالي، وعن هذا الفيلسوف كانت مقاله الوحيدة في المشرق سنة ١٩٥٧.

شَيْخُو (لويس) (١٨٥٩ - ١٩٢٧)

وُلد بمباردين، في جنوب تركيا الحالية من عائلة كلدانية. ما إن التحق شاباً بالرهبانية اليسوعية حتى انكبّ بكلّ ما أُوتِيَ من زخم على الاهتمام بالعربية وآدابها، لا سيّما ما يعود إلى الميحيين، فكّرَس حياته لهذه الرسالة. أحصينا له من المؤلفات الكبيرة والمقالات المهيبة ما يربو عدده على الثلاثائة وخمسة وسبعين، بالإضافة إلى ما يعادله من المقالات المتوسّطة الحجم، وإلى ما هو ثلاثة أضعاف ذلك من المقالات الصغيرة والنُبد الوجيهة^(١). صدر معظم ما دُبِّجه قلم شيخو على صفحات المشرق، وكان من عادة صاحبه أن ينشر المواضيع ذات الأهمية مستلسلةً لثلاً يملّ القراء طولها، ثمّ يجمعها عند الفراغ من نشرها فيصدرها كتاباً.

أما الموضوعات التي تناولها بالبحث فقد شملت سائر ميادين المعرفة على نحو ما حدّده في افتتاحية عدد المجلّة الأولى: ففي الدينيّات تطرّق إلى الكتاب المقدّس وتفسيره، وإلى العقائد، ومؤلّفات آباء الكنيسة، والجدل، والطقوس والأعياد، والحقّ الكنسيّ، ومريم العذراء، والمراغمة، والتصوّف، وتراجم القديسين والصالحين، وتاريخ الكنائس الشرقية والغربية. وعلى صعيد العلوم الإنسانيّة كتب في التاريخ والجغرافيا، والسياحات، والعادات، والفلسفة وعلم النفس، والملل والنحل، والحقوق، واللغات عامّة والعربية خاصّة، والآداب لا سيّما العربية منها، وتراجم الأديباء، فضلاً عن نشره عشرات المخطوطات القديمة الدفينة. وفي العلوم المضبوطة عالّج ما يمتّ إلى الطبّ والصحة، والحيوان والنبات، والفيزياء والكيمياء وعلم الفلك، والفنون والصنائع والمعاديات. كما أنّه ألّف الكثير من فهارس المخطوطات وعرّف عن بعض خزائن الكتب. ولقرط ما أفرغ شيخو من جهود في تحرير مجلّته، وبثّ فيها من روحه وقلبه وفكره، فقد أضحى هو والمشرق واحداً، بحيث إذا ما قيل شيخو ذُكر المشرق، وإذا ما ذُكر المشرق قيل شيخو.

صالحاني (أنطون) (١٨٤٧ - ١٩٤١)

دمشقيّ المولد، سريانيّ الطائفة. استطاع على الرغم من تعدّد التزاماته

(١) راجع كتابنا الأب لويس شيخو: ما كتبه وما نُحِبُّه، بيروت، دار المشرق، ١٩٧٩.

الكهوتية أن يخلف من الآثار الأدبية ما استحق له شكر العلماء والباحثين. فاهم ما صدر له تحقيقه لديوان الأخطل إذ أتى به عل أتم ما يكون العمل العلمي حتى غدت طبعته المرجع الأول لدراسة شعر غياث التغلبي. ومن آثاره الأدبية أيضًا نشره لكتاب ألف ليلة وليلة في طبعة مهذبة، ولمختارات مشروحة لكتاب الأغاني أسماها رثات الثالث والثاني في روايات الأغاني، ولتفاضل جرير والأخطل. وألف الكثير من الكتيبات ظهرت أولًا في معظمها، مقالات لمجلة المشرق، بعضها أخلاقي وبعضها عقائدي وبعضها الآخر أدبي. والجدير بالملاحظة أن صالحاني ظل يتحف المشرق بنقشات قلمه طوال خمس وثلاثين سنة حتى ناهز التسعين من عمره.

عقيقي (جبرائيل) (١٨٨٧ - ١٩٦٨)

من أبناء بلدة كفرذبيان اللبنانية. درس العربية في القاهرة بعد سياحة كاهنًا سنة ١٩١١، والتحق بالربانية اليسوعية عام ١٩٢٣. أمضى حياته العملية كلها في مصر يدرس العربية أو يدير دروسها في معاهد اليسوعيين هناك. عرّب عشرة كتب ونيف ظهر معظمها في سلسلة «منشورات المعهد بالمعادي، منها: تاريخ الكنيسة، ودرب القداسة، والقديس باسيليوس، والقديس غريغوريوس التريزي، وإيماننا المسيحي، ومارينا المصرية. وألف مقالات قليلة في بعض المجلات، خصّ المشرق منها باثنتين فقط.

غانم (سليمان) (١٨٤٩ - ١٩٤٣)

وُلد في بكاسين من قرى جنوب لبنان، وكان أكبر أبناء البطل أبي سمرا غانم الذي اشتهر بمقارعة إبراهيم باشا عام ١٨٤٠، وفي أثناء أحداث ١٨٤٥ و١٨٦٠. تبوأ إدارة جريدة البشير من ١٨٨٢ حتى ١٨٨٤. وبعد انقطاع سنة واحدة، من ١٨٨٥ إلى ١٨٩١. ألف لمجلة المشرق سلسلتين من المقالات، الأولى عن أمثال عكار، والثانية عن المناديات الدمشقية في الأثر الشامية (١٩١٠). وقد دفعه إلى كتابة المقالات الأخيرة تميته، عام ١٩٠٩، في دير وهبائه بدمشق حيث بقي حتى وافته المنية بعد أربعين سنة.

فؤاد (لويس) (١٨٨١ - ؟)

مصري، كان مسلماً فاعتق المسيحية، وانتمى إلى الرهبانية اليسوعية عام ١٩٠٠. وبعد أربع سنوات من التكوين في أوروبا عين في بلدة غزير حيث درّس العربية، ثم انتقل إلى مدرسة بيروت حيث درّس العربية أيضاً من ١٩٠٦ إلى ١٩٠٩، وترك الرهبانية في أواخر تلك السنة.

كتب في المشرق أربع روايات قصيرة هادفة صدرت عام ١٩٠٧ بالعناوين التالية: «ملاك الرحمة» و«سلامة النية» و«مثال البر» و«زلة الشبية».

قندلا (فرنسيس) (١٨٨٦ - ١٩٦٣)

وُلد في الموصل من أسرة سريانية ودُعي قبل الترتب سليماً. أشرف على إدارة عدة مدارس في سورية ولبنان وخلف كتابين أحدهما بعنوان حياة ربنا يسوع المسيح والثاني بعنوان حياة مريم أم يسوع. أما المشرق فقد نشر فيها مقالة واحلة عن العروض (سنة ١٩٥٢).

معلوف (لويس) (١٨٦٩ - ١٩٤٦)

من مواليد مدينة زحلة في لبنان. كان في الحادية والعشرين من عمره لما عُيّن مديرًا للدرّوس العربية في مدرسة اليسوعيين بالقاهرة، واستمرّ حتى ١٨٩٥، ثم أوكل إليه رؤسائه الإشراف على درّوس العربية التي ينصرف إليها اليسوعيون المستشرقون فقام بمهمته مدة تسعة أعوام. ومن أهم ما حقّقه بجدارة إدارته جريدة البشير بين سنتي ١٩٠٧ و١٩٣٣ دون توقّف إلا في أثناء الحرب العالمية الأولى، فضلاً عن تصنيفه معجمه الشهير المنجد وقد أصدره سنة ١٩٠٨ فتعاقبت طبعاته بنواتر حتى بلغ اليوم الطبعة الثامنة والعشرين، والتاسعة والعشرون على وشك الصدور، على الرغم من تهافت المزوّرين على طباعته دون ترخيص، لا رادع يردعهم أو وازع يربّع ضميرهم.

هذا وقد عرف بدمائة أخلافه ورجاحة عقله وحسن إدارته وبالغ تقواه، فطالب به أبناء إبرشية صور الملكيّة الكاثوليكية مطراناً عليهم وأحقوا، فألح بالرفض. ولم تمنعه أشغاله المتراكمة وانصرافه إلى الإرشاد والرّعة^(١) من

(١) ألف في هذا الشأن رسالة روحية للكهنه سحب طريقة القديس إغناطيوس ده لويولا

تدبيح نيفٍ وعشر مقالات صدرت له في المشرق ويدور معظمها حول المسائل الفلسفية. فمنها: «نظر عقلي في لزوم الدين»، و«نظر عقلي في السوحي»، و«إمكان المعجزات»، ونشره للرسالة «في وحدانية الخالق وتثليث أقانيمه» لإيليا مطران نصيين.

متى (يوسف) (١٨٩١ - ١٩٥٩)

أبصر النور في القاهرة لوالدين مصريين من أصل لبناني، وكان قبل ترجه من طائفة الروم الأرثوذكس. أمضى معظم حياته يدرّس العربية ويدير شؤون عددٍ من مدارس اليسوعيين في لبنان (غزير وكفيا وزحلة وبيروت) وسورية (حلب وحمص) ومصر (القاهرة).

ألّف كتاباً لتدريس قواعد العربية بعنوان «مرافق المرافق»، ونشر في المشرق مقالتيْن إحداهما عن مناجاة الأرواح والثانية عن خطة حديثة لتهديب الناشئة.

نخلة (رفائيل) (١٨٩٠ - ١٩٧٣)

مصريّ قبطي من مواليد الإسكندرية. إلتحق بالرهبانية اليسوعية بعد أن أنهى درس الحقوق في جامعة باريس. كانت له مقدرة على العمل الدؤوب قلّ نظيرها، فضلاً عن ذاكرة خارقة مكّته من تعلّم نحو أربعين لغة. أجاد العربية الفصحى كلّ الإجابة وأنشأ بها عشرات المقالات والكتب، إلّا أنه أثر في عظاته استعمال اللغة العامية باستمرار على الرغم من معارضة الكثيرين له، وخلف بالفرنسية كتاباً في قواعد اللهجة اللبنانية السورية. من غريب شخصيته أنه كان يميل إلى... الغريب المستظرف والعجيب المستظرف، فألّف: غرائب اللغة العربية (حلب، ١٩٤٥ - تعددت طبعاته)، وغرائب اللهجة اللبنانية السورية (بيروت، ١٩٦٢)، وغرائب اللهجة المصرية (بيروت، ١٩٦٤). كما ألّف في ما هو قريب من الغريب، كيشل أربعة آلاف عبرباوية (حلب، ١٩٥٤) وقاموس المترادفات والمتجانسات (بيروت، ١٩٥٧ - تعددت طبعاته)، وجولة في آداب العالم (بيروت، ١٩٥٧) حيث نقل إلى العربية نصوصاً من بضع عشرة لغة، وأربعة آلاف مثل، في أربعة أجزاء (بيروت، ١٩٥٠)، وملاهي

السهرات (٣ أجزاء، ١٩٥٧) طبعه باسم مستعار: خليل كامل. إلى كتب مدرسية وأدبية ودينية (عرب عددًا منها في سنواته الأخيرة) وعشرات المقالات في عددٍ من المجلات لاسيما مجلة رسالة قلب يسوع التي أدارها مدةً طويلة، ومجلة المشرق. وما نشره في الصحيفة الأخيرة، على مدى نحو نصف قرن، يتوزع بين الأخبار العلمية التي تهتم عامة المثقفين والأخبار الدينية والنقد الأدبي. ولم يشذ في تلك المقالات عما عهد في تفضي غرائب الأمور وعجائبها، فكانت له، على سبيل المثال لا الحصر، مقالات بالعناوين التالية:

«نظرة إلى بعض عجائب قمر المحيط»، «معجزة فلكية حديثة»، «عجائب التلفزيون اللاسلكي...»، «اختراع عجيب»، «بعض غرائب القاموس العربي»، «غرائب الأفعال الرباعية المشتقة في اللغة العامية»...
نويًا (بولس) (١٩٢٥ - ١٩٨٠)

عراقي، كلداني. لمع نجمه في الإسلاميات فغدا من كبار العارفين بالتصوّف والتصوّفين من أمثال ابن عطاء الله وابن عمّاد الرندي والحلاج والتفري، وله في سائر هؤلاء مؤلفات قيمة نذكر منها أطروحته بالفرنسية تفسير القرآن والمصطلحات الصوفية. شغل في معهد الدراسات العليا بباريس كرسي أستاذه المشرق الكبير لويس مينيون ودرّس في معهد اليسوعيين للآداب الشرقية ببيروت، ونشر في المشرق عددًا من النصوص الصوفية المغمورة.

ب - الكتب المشرقية

أحصينا بين من نُشر لهم مقالات في المشرق نحو خمسين يسوعياً مشرقياً، جميعهم أمضوا نسباً من حياتهم الرهبانية في بلاد المشرق العربي. نصفهم، على وجه التقريب، ممن أتقن العربية وروع فيها، والباقيون طار لهم صيت في إحدى اللغات الشرقية كالسريانية والعبرية والقبطية والحبشية والأرمنية والتركية أو في علم من العلوم التي تُعنى بشؤون شرقنا من آثار ونبات وقلك وجيولوجيا واجتماع وتاريخ. إلا أنّ أحدًا منهم لم يؤلّف مقالاته مباشرة، بل نقلت كتاباتهم إلى لغتنا. وفي ما يلي تعريف موجز بأبرز هؤلاء العلماء.

أوتفاج (جوزف) Autefage (١٨٣٨ - ١٩٠١)

فرنسي أنقن اللغات الشرقية، منها العربية وخاصة القبطية. كان موسوعاً حياً، إلا أنه مُقل في كتاباته ولم يُنشر له في المشرق سوى مقال واحد (١٢ صفحة) عن «التوراة وجث الفراعنة المحنطة في متحف الجيزة».

بلاسار (جاك) Plassard (١٩١١)

فرنسي، دكتور في العلوم، متخصص في علم الفلك. أدار مدة طويلة مرصد اليسوعيين في بلدة كسارة قرب زحلة (لبنان). له مقالة في المشرق صدرت سنة ١٩٥١ بعنوان: «الخيوط الممدود من الأرض إلى السماء».

بلمبوا (جوزف) Blampois (١٨٨٢ - ١٩٦١)

فرنسي، قضى معظم حياته في خدمة الشرق العربي لا سيما لبنان. درس الكهرباء في كلية الهندسة التابعة للجامعة اليسوعية ببيروت، وألف للمشرق ثلاث مقالات في ميدان اختصاصه.

يواذبار (أنطوان) Poidebard (١٨٧٨ - ١٩٥٥)

درس هذا الراهب الفرنسي التركية والأرمنية وتفانى في خدمة المهجرين الأرمن. كان مرشداً روحياً للجنود في أثناء الحرب الكونية الأولى وأنيطت به إلى ذلك مهمة الكشف من الطائرات عن الآثار المغمورة في الصحراء السورية، وكان أول من نجح في هذا الميدان. ووضع كتابين بالفرنسية حول هذا الموضوع، وكتاباً ثالثاً حول ما اكتشفه بالطريقة نفسها في مرفأي صور وصيدا. وقد خصّ المشرق بمقال من هذا القبيل أسماه «الطيران وعلم الآثار».

بوفيه (فردريك) Bouvier (١٨٧١ - ١٩١٦)

فرنسي. درس التاريخ وتخصص في تاريخ الأديان المقارن. له كتاب بعنوان تاريخ سورية ومقال يتيم في المشرق عنوانه «قدوة الدارسين».

بُوَيْيه لاپيار (بول) Bovier-Lapierre (١٨٧٣ - ١٩٥٠)

جاء من فرنسا إلى الشرق وهو في الثانية والثلاثين فدرّس العلوم الطبيعيّة في كليّة الطبّ اليسوعيّة بيروت، وألّف من وحي اختصاصه عددًا من المقالات لمجلة المشرق. ثمّ انتقل إلى مصر حيث أمضى نحو ربع قرن قام فيها بحفريات جعلت منه سيّد علوم ما قبل التاريخ في مصر وفتحت له أبواب الجمعيات العلميّة فيها.

بُولُومُوا (لويس) Bouloumoy (١٨٥٦ - ١٩٢٦)

فرنسيّ. درّس في كليّة الطبّ اليسوعيّة بيروت علوم النبات والطفليّات والجرانيم. له كتاب في نبات سورية، ومقالات في المشرق عن الطاعون الدمليّ.

بيترس (بول) Peeters (١٨٧٠ - ١٩٥٠)

بلجيكيّ، عضو في جمعيّة «البولندست» المشهورة. علامة بحاثّة أمضى في بيروت مدّة بين ١٩٠٢ و١٩٠٣. أنحف المشرق بثلاث مقالات عن القديسين والحياة الرهبانيّة القديمة.

تالون (موريس) Tallon (١٩٠٦ - ١٩٨٢).

فرنسيّ أتقن الأرمنيّة والتركيّة وكان له ضريح باع في علم الآثار. تسلّم إدارة «المكتبة الشرقيّة» وورثاسة تحرير مجلّة Melanges الصادرة عن جامعة القديس يوسف - بيروت - وصنّف كتاب الحروف، وثائق أرمنيّة من القرن الخامس. نشر في المشرق مقالاً واحداً عام ١٩٧٠ درس فيه وكنيسة لبنانيّة ذات رسوم شهيرة، هي كنيسة بلدة بحديدات.

تُورنبيز (فرنسيس) Tournebize (١٨٥٦ - ١٩٢٦)

راهب فرنسيّ، درّس الفلسفة واللاهوت، وتاريخ الكنيسة في جامعة اليسوعيين بيروت. ألّف عنّة كتب لاهوتيّة وتاريخيّة، منها واحد في تاريخ أرمينيا السياسيّ والدينيّ، وكان يتنن الأرمنيّة. حرّر في المشرق فصدرت له فيها ستّ مقالات تدور مواضعها حول تاريخ الكنائس.

جَلايِر (هنري) Jalabert (١٩١٤)

من مواليد مرسيليا في جنوب فرنسا. يعمل في لبنان منذ ما يربو على
الخمسين سنة، يدرّس التاريخ في معاهد اليسوعيين وجامعتهم. ألف عدّة كتب
تمت إلى اختصاصه، جميعها بالفرنسية ومعظمها عن تاريخ رهبانيته في الشرق
الأدنى. حرّر للمشرق مقالاً يتيمًا.

جوليان (ميشال) Jullien (١٨٢٧ - ١٩١١)

وُلد في ليون (فرنسا) وتخصّص في العلوم الفيزيائية وأنيطت به مسؤوليات
جام في رهبانيته فأرأس عدّة مدارس ثانوية في فرنسا ومصر وإقليم مقاطعة
ليون مدّة أربع سنوات. أولع بالتاريخ فألّف كتابًا بالفرنسية عن أعمال
اليسوعيين في بلاد الشام أسماه الإرسالية الجديدة في سورية. أنحف المشرق
بسع مقالات تبحث جميعها في تاريخ مصر.

جُوون (بُول) Jouon (١٨٧١ - ١٩٤٠)

فرنسيّ. درّس العبرية في «الكلية الشرقية» والمعهد الإكليريكيّ الشرقيّ،
بجامعة القديس يوسف. نشر عددًا من المقالات في المشرق تطرّق معظمها إلى
الأثار في مصر وحمص وحلب وجوارها.

داڤيه (أوغست) Davier (١٨٧٧ - ١٩٦٨)

درس الأرمنية والتركية وخدم في بيروت وبرّ الاناضول وألّف لمجلة
المشرق سنة ١٩٠٦ مقالاً وحيداً عن «المغرب الأقصى»!

دوران (ألفرد) Durand (١٨٥٨ - ١٩٢٨)

فرنسيّ، لم يمضَ في الشرق. وعلى التخصيص في بيروت، إلا ثلاث
سنوات، ولكنه ساهم مع الأب لويس شيخو في تأليف كتاب باللاتينية لتعلّم
قواعد العربية بعنوان: *Elementa grammaticae arabicae. cum chrestoma-*
tia, lexico, variisque notis, Beyrouth, 1896 - صنّف في المشرق مقالين تمتاز
إلى الكتاب المقدّس.

رُولان (رَمَانُونِيل) Rolland (١٨٤٩ - ١٩٣٠)

فرنسيّ، أتقن العربيّة. تبوأ عدّة مناصب في المعاهد والأديار بين لبنان ومصر، وكان من مؤسّسي رهابات قلب يسوع القبطيات. له في المشرق مقالات تنوّعت مواضيعها.

رُونزفال (سَبِيَّان) S. Ronzevalle (١٨٦٥ - ١٩٣٧)

فرنسيّ وُلد في مدينة فيليوُيولي من مدن الإمبراطوريّة العثمانيّة، وكان والده موظّفًا لدى قنصلية بلاده فيها. درس عند اليسوعيين في بيروت وانتمى إلى رهبانيّتهم، وبرع في علوم اللاهوت والتاريخ والآثار والكتابات القديمة واللغة العربيّة. وكان من مؤسّسي «الكلية الشريّة» ومن أبرز المدرّسين فيها؛ وله أبحاث كثيرة في شتى مجالات اهتمامه نشر بعضها في مجلّة Mélanges وبعضها في المشرق، مع تركيز ملحوظ على المعابد والطقوس السوريّة والفنيّة.

رُونزفال (لويس) L. Ronzevalle (١٨٧١ - ١٩١٨)

هو آخر الأب سبتيان السابق ذكره. درّس العربيّة في الكلية الشريّة، وكان من المتمكّنين من اللغة العاميّة ودقائقها. وعمّا برع فيه الموسيقى الشريّة وقد نشر في المشرق من هذا القبيل الرسالة الشهائيّة في الصناعة الموسيقيّة للدكتور ميخائيل مشاقّة. كما حرّر للمجلّة نفسها وعلى مدى ربع قرن الكثير من المقالات اللغويّة والعلميّة والدينيّة والتاريخيّة والاجتماعيّة.

زُمُون (كُودِفروا) Zumoffen (١٨٤٨ - ١٩٢٨)

سويسريّ. إسمه عُدفريد أو، بحسب الصيغة الفرنسيّة، كُودِفروا. أمضى معظم حياته في بيروت بدرّس العلوم في المدرسة الثانويّة وكلية الطب. ذرع المناطق اللبنانيّة ذرعًا يدرّس مناهجها التاريخيّة وطبقاتها الجيولوجيّة فخلف في ذلك ثلاثة كتب قيّمة نذكر منها خريطة لبنان الجيولوجيّة. وألّف مقالات ظهرت في المشرق عاجلت عددًا من القضايا العلميّة.

شان (ماريوس) Chaine (١٨٧٣ - ؟)

فرنسي. من مؤلفاته غراماتيق للغة الحبشية. صدر له في المشرق مقالان أحدهما عن «اكتشاف اليسوعيين للنيل الأزرق».

طوران (اسكندر) Torrend (١٨٥٩ - ١٩٤١)

كان هذا الفرنسي واعظًا مفرقًا بالعربية، وعلى الرغم من أشغاله الكثيرة في إدارة الأديار التي عمل فيها، فقد أولى المشرق كثيرًا من اهتمامه وأصدر فيها نحو عشرين مقالاً معظمها إن لم يكن جميعها في النبات والحيوان.

غودار (جوزف) Goudard (١٨٧٣ - ١٩٥١)

فرنسي الجنسية، أمضى في الشرق ثمانية عشر عامًا، بعضها في بر الأناضول، وبعضها في لبنان. ألف كتابًا ضخمًا بالفرنسية عن المذراء مريم في لبنان ومقالاً للمشرق عن «معبد سيده القلعة في بلاد عكار» (١٩٠٠).

كوتش (وهيلم) Kutsch (١٨٩٥ - ١٩٦٦)

الماني، أمضى في بيروت أحد عشر عامًا حقق خلالها، بالدقة المعهودة عند مواطنيه، عددًا من مؤلفات الفلاسفة العرب كتابت بن قرّة والفارابي. نشر في المشرق، بالاشتراك مع الأب إغناطيوس عبده خليفه، كتاب الميين في شرح معاني ألفاظ الحكماء المتكلمين، تصنيف الشيخ سيف الدين الأمدّي.

كولنجت (موريس) Collangettes (١٨٦٠ - ١٩٤٣)

فرنسي، أمضى نحو نصف قرن يدرس في كلية الطبّ مائة الفيزياء الطبيّة. وكان إلى ذلك متبحرًا في الموسيقى العربية فشارك في عدد من المؤتمرات في هذا الشأن وطلب إليه الملك فؤاد عاهل مصر طلبًا رسميًا سنة ١٩٣٢ أن يؤلف على جناح السرعة طريقة تمكّن الناشئة المصرية من الاطلاع على موسيقى بلادها. إلا أن أشغاله المتراكمة آنذاك حالت دون تلبية رغبة الملك، وكان قبل ذلك قد أصدر في المشرق بين ١٨٩٨ و١٩٠٨ نحو عشرين مقالة تمتّ جميعها إلى العلوم والصنائع.

لاتور (اسطفان) Lator (١٩٠٤ - ؟)

إسبان. دَرَس اللغة العربية وآدابها في معهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة اليسوعيين في بيروت. من مؤلفاته كتاب لتدريس العربية اللبنانية للأجانب، وكتاب بالإيطالية، شاركه فيه بعض المستشرقين، عن لقاء المسيحية والإسلام. ونقل إلى الإسبانية كتاب «أَيَا الولد» للغزالي. صدر له في المشرق مقال وحيد حول «تاريخ إسبانية في عهدها الإسلامي». - ترك الرهبانية اليسوعية في ما بعد.

لامنس (هنري) Lammens (١٨٦٢ - ١٩٣٧)

بلجيكي، جاء فني إلى لبنان، وما إن أنهى مرحلة التكوين المألوفة في رهبانيته حتى تفرغ للبحث والتأليف في تاريخ الإسلام والعرب، فألف عدّة كتب عالج فيها تاريخ الأمويين والجزيرة العربية وسورية، إلى جانب دراسة عن الرسول العربيّ وأخرى عن فاطمة ابنته وثالثة عن عقائد الإسلام ومؤسّساته، وسواها كثير. وأصدر في المشرق منذ تأسيسه وعلى مدى نحو أربعين سنة المقالّ تلو المقال مما يشهد له بالدقّة المتناهية في البحث، والسعة في معرفة المصادر، والجرأة على إبراز الحقائق، بحيث طبّقت شهرته المحافل العلميّة ويات وما زال أحد أعظم المستشرقين في العالم. وقد أشرنا سابقًا إلى أنّه خلف شيخه في إدارة مجلّته وأدار شؤونها من ١٩٢٨ حتى غاية ١٩٣٣.

لوجنيسيل (أندوره) Le Génissel (١٨٩٩ - ١٩٩١)

فرنسيّ الجنسية. أتقن اللغة العربية وآدابها، ثمّ تخصّص في الحفوق ونال فيها شهادة الدكتوراه وعمل في الحقلين التربويّ والاجتماعيّ: فإلى جانب اهتمامه الرعويّ بالشبّان والشابات أُلحق خبيرًا بوزارة العمل والشؤون الاجتماعيّة في لبنان فأسس أوّل نقابة فيه، وساهم في وضع قانون العمل وألّف للطلاب كتابًا بالفرنسيّة حول التنشئة الاجتماعيّة. أمّا مقالاته في المشرق فبعضها عن الأدب التركيّ وبعضها عن الشؤون الاجتماعيّة والنقابيّة، ونصف هذه المقالات نُقل إلى العربية والتعف الآخر صدر سنة ١٩٦٩ بأصله الفرنسيّ.

لُونِك (كَنْزِيال) Levenq (١٨٦٨ - ١٩٣٨)

وُلد في مرسيليا بجنوب فرنسا. برع في التاريخ لا سيما تاريخ رهبانيته فألّف في هذا الموضوع الكثير من المقالات فضلاً عن كتيّبن نظراً إلى إرساليّة اليوعيّن في بلاد الشام. وقد مدّ المشرق بنحو خمسة عشر مقالاً في مجال اختصاصه أظهر فيها بالغ الدقّة في التحريّ والرد.

مالون (ألكيي) Mallon (١٨٧٥ - ١٩٣٤)

فرنسيّ. أمضى نحو أربعين سنة في خدمة الشرق متنقلاً بين مصر ولبنان وفلسطين. تخرّص في الشؤون المصريّة على أنواعها، الأثريّة واللغويّة والدينيّة، وألّف غراماتيقيّاً للغة القبطيّة هو مرجع فريد في نوعه. خصّص المشرق بعدد من المقالات، يربو على العشرة، معظمها، بطبيعة الحال، حول مصر وآثارها والكنيسة القبطيّة وشؤونها وآدابها.

موتيرد (بُول) Mouterde (١٨٩٢ - ١٩٧٢)

من مواليد مدينة ليون في فرنسا. أمضى حياته الرهبانيّة كلّها في لبنان يعمل على صُعد كثيرة: فمن اهتمام بالملكيات، إلى تدريس الكتاب المقدّس واللغات القديمة كالبيونيّة والعبريّة والسريانيّة - وله في اللسان الأخير كتاب قواعد ونصوص مختارة -، إلى دراسات متبحّرة في نبات سورية ولبنان أسفرت عن كتاب كبير حول نباتات جبل الدروز وكتاب آخر ضخّم متعدّد المجلّدات بعنوان الجديد في نباتات لبنان وسورية بات المرجع الأساس في ذلك الباب. إنّ الغريب في أمر هذا الراهب أنّ المشرق لم ينل منه إلاّ ثلاث مقالات لا علاقة لها بأهمّ مجالات اختصاصه.

موتيرد (رييه) Mouterde (١٨٨٠ - ١٩٦١)

نائب الأب بول السابق ذكره. نبوّاً في حياته الرهبانيّة مسؤوليات أكاديميّة وعلميّة جسيمة فشغل منصب عمادة كليّة الحقوق البسوعيّة في بيروت منّة تزيد على ربع القرن، وإدارة مجلّة جامعة القديس يوسف Mélanges طوال أربعين سنة وله فيها الكثير من المقالات، وإدارة المشرق لمئة وجيزة بعد تنحي

الاب لامس سنة ١٩٣٤ . وكان ميدان اختصاصه، حيث طارت له سمعة عالمية، الآثار والكتابات اليونانية واللاتينية في سورية ولبنان وله في ذلك الباب مجموع ضخم صدر بخمسة مجلدات. وقد استفادت المشرق من هذا البحر الزاخر فصدر فيه من قلم ربه موترد عشرون مقالاً وثيقاً تطرقت جميعاً إلى تاريخ وآثار وكتابات سورية ولبنان.

«مستشرقون» آخرون

نقف عند هذا الحدّ من التعريف بالسوريين «المستشرقين» العاملين في الشرق والمسامين في المشرق. وكان بالإمكان التوسّع لولا خشية الإطالة، إلّا أنّنا نكتفي قبل طي الصفحة بذكر بعض المشاهير بعلمهم أو عملهم ذكرًا عابراً مع الإشارة إلى سني ولادتهم ووفاتهم وإلى حقول اهتمامهم أو اختصاصهم:

يُونَيْتُور بَرُلُوتِي (١٨٥٦ - ١٩٣٤) عالم الرياضيات ومؤسس مرصد اليسوعيين في كسارة. كريستوف ده بُونَيْيل (١٨٨٨ - ١٩٤٧) من كبار رؤساء إقليم الشرق الأدنى في رهبانيته. فرنسوا دُويره لاثور (١٩٠٠ - ١٩٧٧) عميد كُليّة الطبّ في جامعة القديس يوسف. جوزف دييلنسيغر (١٨٦٨ - ١٩٢٧) أستاذ الكتاب المقدس. فليكس سُوانيون (١٨٨٣ - ١٩٦١) أستاذ الفلسفة. جان كابلوس (١٨٨٧ - ١٩٧٣) يوناني، أستاذ الفلسفة واللاهوت. بَرْتِلماؤس كُرْجُوي (١٨٩٧ - ١٩٨٣) سلوفاكي، عالم بالهزات الأرضية. پيار ده فراجيل (١٨٧٥ - ١٩٧٠) الأستاذ في كُليّة الطبّ. پيار مازاس (١٩٠٧ - ١٩١٤) عميد كُليّة الحقوق في الجامعة اليسوعية ببيروت.

يُضاف إلى هؤلاء بعض من نُشرت مقالاته في أصله الفرنسي كالأباء فيرنان ده لانغرسان (١٨٨٠ - ١٩٦٨) عميد كُليّة اللاهوت، وجان ميعيربان (١٨٨٨ - ١٩٦٥) الأرمني العلامة في شؤون قومه وكنيسته، وكارلوس شُدّ (١٩١٤ - ١٩٧٢) الأرمني الأصل وأستاذ التاريخ القديم.

ج - الكتيبة الفرسيون

صدرت في المشرق مقالات لعدد كبير من اليسوعيين الفرنسيين الذين لم يكن لهم بالشرق العربي وثيق علاقة، وقد أحصينا منهم ما يزيد قليلاً على

الأربعين. والمواضيع التي طرقتها تفتت إلى مختلف ميادين العلوم الدينية والدينية. ومن أشهرهم الآباء جوزف بونيرفان العالم في الكتاب المقدس، وجان داتياكو الكردينال اللاهوتي صاحب المؤلفات الكثيرة عن آباء الكنيسة الشرقية، وكاستون ساليه اللاهوتي، وفرانسيس شارمو المري والمعلم الروحاني. هؤلاء وغيرهم ساهموا مساهمة مباشرة أو غير مباشرة وفي أغلب الأحيان بمقال يتيم عابر أو مقالين فقط.

الخاتمة

بقيت المشرق على قيد الحياة من ١٨٩٨ حتى نهاية ١٩٧٠، اثنين وسبعين حولاً، فلم تتوقف مسيرتها إلا في أثناء سنوات معدودة غشيتها الحروب وناءت بكلكليا على كل ذي نسمة فأودت به.

أربع وستون مجلداً صدرت في تلك الختبة، فجمعت في طياتها كنوزاً من الأبحاث، وثورات من المعارف، أضحت المشرق بفضلها موسوعة لا يستغني عنها كل من أراد التعمق في شؤون الشرق، لا سيما الغربي منه. ولم تترك المجلة باباً من أبواب العلم والثقافة والتفكير إلا ولبته كما تأكد لنا ذلك من التبدد السابقة. وكان رائدها دوماً الجدوية في اقتناء المواضيع، والرصانة العلمية في معالجتها، والسعي وراء الحقيقة. وقد أدى تحزبي الحقيقة هذا، في كثير من الأحيان، إلى تشنج في الجدل وتشدد في الأحكام، أقله أيام شيخزاذ كان رجل عصره، عصر لم تهب من خلال نوافذه رياح الانتتاح والتسامح على نحو ما حصل في السنين اللاحقة. وفي الواقع سرعان ما تلاشى مع الأيام أثر التزمّت وفهم أولياء المجلة أنه وإن يكن شعارها «تعرفون الحق والحق بحرركم»، فالحقيقة لا تحرر إلا بقدر ما تستند إلى الثقة أم الانتتاح ووليدة المحبة.

ولنا شاهد على رحابة صدر المشرق واحترامها العميق للجميع، على رغم المظاهر الخداعة أو الخفوات العابرة، كثرة كتابها من غير اليسوعيين وتنوع مشاربهم ومذاهبهم وملهمهم، وكلهم يحترم المجلة ويوليه ثقته. والجدير بالذكر أن أغلب المؤلفين والباحثين كانوا ممن طال باعهم وطار صيتهم في ميادين

اختصاصاتهم واهتماماتهم. ونورد هنا أسماء بعضهم، على سبيل المثال لا الحصر:

فمن الكهنة والرهبان غير اليسرعيين: إسحق أرملة، أنستاس ماري الكرملي، قسطنطين الباشا، رفائيل البستاني، لويس بلييل، مبارك ثابت، فريد جبر، ميشال حايك، إبراهيم حرفوش، غيايل الرجبي، بطرس ساره، بولس سلمان، كيرلس شارون، أنطونيوس شبلي، أنطوان ضو، يوسف العلم، يوسف علوان، منصور عرّاد، بطرس غالب، مارون غصن، نيقولاوس قادري، بولس قرألي، نعمة الله الكفري، أوغسطين مرمرجي، بولس سعد، جرجس منش.

ومن العلمانيين: محمود شكري الألويسي، الأمير شكيب أرسلان، فؤاد أفلام البستاني، عارف تامر، الشيخ أحمد تقي الدين، جبرائيل جبور، لحد خاطر، الشيخ سليم الدحداح، حبيب الزيات، رشيد وسعيد الشرتوني، الأمير موريس شهاب، محمد أسعد طلس، ظافر القاسمي، المستشرق إغناطيوس كراتشكوفسكي، صلاح لبكي، رياض وعيسى المعلوف، صلاح الدين المنجد، المستشرق مرتين هرتمن، عثمان يحيى، يوسف إبراهيم يزبك.

إثنان وسبعون عامًا مرّت على المشرق وهي تخدم المشرق الخدمة الحقّ، ولئن توقّفت عن الصدور مرغمةً فلاسباب قاهرة زالت اليوم بإذن الله. والمجلّة تتمطى اليوم نحو الأمام وتستعدّ لوثبة جديدة في رحاب مستقبل تروجه زاهراً مشعراً يعونه تعالى.